مريم العذراء

لنبيه صقر

حولَ أيقاحكِ بالسَّناء صَدَحَتْ قيثارُ السماء
لمّا سَمَوتِ الى عُجابِ المجدِ في دَهَشِ الملاء
وتسارعَتْ أجنادُهُ حُشُدًا إلى فرحِ اللِّقاء
وزَهَتْ أساريرُ المدى وتَمايَدَتْ عُمُدُ الفضاء
وشَدا الشَّذا وتَغَنَّتْ رُنَمُ الملائكِ في الغناء
وتعطَّرتْ بأريجِ ذاكَ الطُّهرِ أنفاسُ الهواء
وزَنَتْ اليكِ مواكبُ الأجيالِ تلهجُ بالثَّناء :
طوباكِ يا صُبحَ الهدى الأزهى ونورَ الأنبياء !
انتِ المباركةُ المليئةُ نِعمةً بينَ النِّساء
إشراقُ مجدِكِ هالةٌ قدَّستْ وتاجٌ من ضياء
يا رحمةَ الرحمانِ يا بَحرَ المحبَّةِ والجَداء
يَدَ الندى وشريكةَ الحَمَلِ المُبَجَّلِ في الفداء

أحييتِ حوّاءَ الخطيئةِ بالتَّواضعِ والنَّقاء
واستأصلتْ تلك الحِرابُ السَّبعُ أشواكَ العداء
مِنْ صَبغِ قلبكِ بالأسى ووَحيدِ قلبكِ بالدِّماء
ما استرجعتْ فَرَحَ الخلاصِ نُفوسُنا لو لم تشائي

إذ قلتِ للملاكِ المُبَشِّرِ بالأُمومةِ من عَلاه :
انا لستُ يا جبريلُ للمَولى سِوى إحدى الإماء
انا نشوةٌ من طاعةٍ للسرمديّ ومن وَفاء
سَيُعَزِّزُ القُدّوسُ نَذْرَ تَبَتُّلي ، رَسْمَ اتِّقابي
قُربانَ إجلالٍ لهُ حَرُّ التَّضرُّعِ والدُّعاء
ويصونُ نفسي في الطَّهارةِ والنَّضارةِ والرُّواء
ما ذَرَّ في الآفاق نجمٌ طالِعٌ أو غارَ ثانِي .
يا أُمَّ فادينا الحبيبِ ضحيَّةِ الحُبِّ البراء
صُوغي لعالَمِنا السَّلامَ من التَّعاضُدِ والإخاء
حفَّتْ بعَرْشِكِ في نعيمِ الخُلْدِ رايةُ الرَّجاء
وتهتْ شآبيبُ الكرامةِ من بَنازِكِ والعَطاء
كم شامَ مُنْخَطِفٌ سَنا لكِ وكم رَوَى رُؤياكِ رائِي ،
رُؤيا يَفيضُ جَمالُها وَهجاً بأوجِ الإرتقاء ،
كالشمسِ صاعِدةً على سُحُبِ التألُّقِ والبَهاء !